

الهوية الوطنية في عصر تكنولوجيا الإعلام والاتصال The national identity in tic age.

تاريخ الاستلام: 2019/09/17 تاريخ القبول: 2019/02/27 تاريخ النشر: 2019/06/30

د.نبيل حميدشة¹

جامعة 20 أوت 1955-سكيكدة

Email : hamidcha_nabil@yahoo.fr

الملخص

تفيد الشواهد التاريخية والأحداث الواقعية، أن الهوية ترتبط في أساسها بالمرجعية الثقافية والخصوصية التاريخية للمجتمع، الذي يعتبر المجال الحيوي للتنشئة الاجتماعية، وتشريب القيم والمعايير التي تعيد إنتاج الروابط الاجتماعية المعبرة عن الشخصية الفردية والاجتماعية، وتنمية روح الانتماء التي تجعل الفرد يأخذ على عاتقه ماضي وحاضر مجتمعه ومشروعه المستقبلي. وإذا كانت الهوية تعبر عن تفاعل بين الأنا والآخر، فإن الشواهد الواقعية تؤكد أنها منتج تاريخي يجسد الخبرات والتجارب المتتالية عبر الزمان وهذا ما نحاول تقصيه في ظل عالم متغير.

الكلمات المفتاحية: الهوية، الفردية، تكنولوجيا الإعلام والاتصال، المجتمع.

Abstract

The Historical evidences and Realistic events suggest that identity is mainly associated with the cultural references as well as the historical peculiarities of society. The latter is actually considered as a vital area of socialization and assimilation of values and norms, which reproduce social ties that express personal and social identity, in addition to the development of the spirit of belonging that prompts individuals to take upon themselves the past and the present of their society besides their future projects. After all, if identity is an interaction between the self and the other, factual evidences confirm that it is a historical product embodying experiences and successive experiments over time, and that is what we are trying to explore in a changing world.

Keywords: Identity, Individuality, Information, Communication, Social.

¹ المؤلف المرسل: د. نبيل حميدشة، hamidcha_nabil@yahoo.fr

مقدمة:

تحتل مسألة الهوية حيزا كبيرا من اهتمامات الساسة و العلماء المهتمين بالعلوم الإنسانية، الاجتماعية والسياسية، و هذا لأهميتها و خطورتها في حياة المجتمعات، و تأثيرها في وجودها. حيث عملت المجتمعات القوية صاحبة النفوذ العالمي على محاصرة الهويات الوطنية للمجتمعات الضعيفة و تفكيكها بصورة يسهل التحكم فيها لاحقا، و هذا عبر مراحل و مخططات مدروسة بدقة متناهية، وباستعمال وسائل عدة أهمها وسائل الإعلام و الاتصال الحديثة من شبكة الانترنت و التلفزيون و الهواتف المقعرة، المستندة إلى آخر ما توصل إليه العقل البشري من تقنيات و وسائل.

1- في حفريات مفهوم الهوية.

يعتبر مفهوم الهوية من المفاهيم الحديثة الاستعمال في القاموس السياسي والاجتماعي، بالنظر إلى السياقات و المدلولات التي أصبح يستعمل فيها. فالهوية لغة تعني الأصل و الانتماء و تعني كذلك المرجعية التي يعود إليها الفرد في حياته، و هي مشتقة من كلمة هو، و التي تعني جوهر الشيء و حقيقته(القاسم. 2015). و منه فمن بين مضامين و مدلولات الهوية هي الثوابت و المبادئ، و عليه و لكي نتأكد من ذلك يكفي طرح الأسئلة التالية من أنا من؟ نحن؟ من هو؟...

(زغو. 2010. ص24)

مما سبق يمكن القول أن الهوية هي إحساس بالوجود في ظل مجموعة من المكونات و الأدوات في مقابل الآخر، الذي يختلف عني في هذه المكونات، و هي الوعي بالذات في ظل متغيرات كثيرة. و الهوية كانت و لا زالت الشغل الشاغل للفلاسفة و المفكرين على مر العصور، منذ الفلاسفة اليونان إلى يومنا هذا. فلقد

بحثا هيرقليطس و بارميندس مشكلة التغير و الهوية، فهيرقليطس مثلا كان يرى أن كل شيء في تغير.

وقد كان لأعمال عالمة الأنثروبولوجيا مارغريت ميد وغيرها من الأنثروبولوجيا دورا بارزا في تبلور هذا المصطلح في العلوم الإنسانية والاجتماعية في الوقت الراهن، و يعزى لعالم النفس إيريك إريكسون الدور البارز في بروز هذا المصطلح في العلوم الاجتماعية و العلوم الإنسانية، و في علم الاجتماع بالضبط يرجع الفضل في تطور هذا المفهوم لنظرية التفاعلية الرمزية، و التي تتمحور حول أبحاثها حول الطريقة التي تتشكل عبرها التفاعلات الاجتماعية و بناء أنساق رمزية مشتركة و وعي الفرد بنفسه، و هذه بحوث تندرج ضمن إشكالية الهوية.

و عليه يمكن تعريف الهوية على أنها مجموعة الصفات و الخصائص التي تميز فردا أو جماعة أو مجتمعا عن غيره، و قد تكون هذه الصفات أو الخصائص جسدية أو نفسية أو اجتماعية أو ثقافية، و هذه الأخيرة هي الصفات المحورية المحددة للهوية.

فالخصائص الجسدية هي جملة المواصفات التي تميز شخصا بعينه من طول ولون بشرة و نحافة أو بدانة و شعر و لون العينين و غيرها، و التي تميز شخص عن غيره من الأشخاص من حوله.

أما الخصائص النفسية بالنسبة للشخص فهي ما تعيه النفس وتشعر به من سمات عقلية و انفعالية وسلوك ناتج من تلك السمات النفسية، تجاه ما لديه من قدرات عقلية و اهتمامات واتجاهات داخلية تعبر عن نظامه القيمي أو ما يسمى بالأنا الأعلى، و ما تعكسه تلك الاتجاهات من نظرة إلى العالم الخارجي تتسق مع إدراك الشخص للعالم من حوله، الذي هو انعكاس للقدرات العقلية وخبرة

الشخص الخاصة المعرفية والانفعالية، و التي هي معياره لقياس العالم الخارجي وفهمه و التعامل مع مثيراته، هذا التعامل الذي يبرز في سلوكيات الشخص وتصرفاته اليومية (الهوية. 2015).

أما الصفات الاجتماعية فهي الصورة التي يراها الآخرون للشخص، إذ يعيش داخل جماعة تساعد على الشعور بوجوده و توجهه لتكوين هويته و ينتمي إليها. كما تشبع حاجاته المادية و المعنوية فتعطيها الشعور بتقدير الذات، إذ يقارن نفسه بالآخرين فيلاحظ أوجه الشبه والاختلاف بينه و بين أفراد الجماعة. وكلمة لاحظ أنه أكثر قبولاً اجتماعياً و تميزاً عن الآخرين، شعر بهويته الاجتماعية المتسقة (الهوية. 2015).

أما الصفات الثقافية فهي مجموع العادات و التقاليد و السلوكيات و طرق التفكير و معتقداته الدينية وغيرها، و التي يمارسها الفرد ضمن جماعته، و المستمدة من مخزونه الثقافي الأصيل.

2- تشكل الهوية

يرى الكثير من العلماء أن الهوية تتشكل عبر محطات ومراحل متعاقبة للفرد أو الجماعة أو المجتمع وهذا بما يتوافر من قيم وعادات وتقاليد وبصفة عامة من سمات ثقافية و أدوار اجتماعية، هذه السمات الثقافية و الأدوار الاجتماعية تفرضها وتغرسها مختلف المؤسسات المجتمعية التي تقوم بعملية التنشئة الاجتماعية للفرد. (أبو جادو. 1998. ص ص 20-87)

3- مكونات الهوية.

يرى بعض العلماء أن الهوية تتكون من مجموعة من المكونات والعناصر يمكن أن نوجزها في ما يلي:

1.3- عناصر مادية و فيزيقية. هذه الأخيرة تشير إلى الرقعة الجغرافية التي ينتمي إليها الفرد أو الجماعة أو التي تكون أمة من الأمم، فلا يمكن الحديث عن مجتمع دون الحديث عن رقعة جغرافية يقيم عليها و ينتمي إليها. فالمفكر مالك بن نبي مثلاً يجعل الأرض ضمن مكونات الحضارة لأي مجتمع. و هذا ما ذهب إليه المفكر الأمريكي صامويل هنتغتون عندما طرح هذا المكون بشكل أوسع و سماه المكونات الإقليمية و ضمنه كل المكونات بدءاً من الجيران و وصولاً إلى القارة التي يقطن فيها الفرد أو تقع فيها الدولة. (هنتغتون. 2005. ص 43)، إضافة إلى ما يسميه المفكر الفرنسي أليكس ميكشيللي الحيازات (الاسم السكن، الملابس الآلات... الخ) و القدرات (القوة الاقتصادية و المالية و العقلية) و التنظيمات المادية (التنظيم الإقليمي، نظام السكن، نظام الاتصالات الإنسانية) و الانتماءات الفيزيكية (الانتماء الاجتماعي، التوزيعات الاجتماعية،.... الخ. (ميكشيللي. 1993. ص 19)

2.3- التاريخ المشترك. أي مجتمع من المجتمعات يجب عليه و لكي يستمر أن يكون له مخزون تاريخي ينهل منه، هذا المخزون ينبغي أن يكون متوافقاً حوله من طرف غالبية أفراد المجتمع. فكلما كانت هناك اختلافات جوهرية حول تاريخ المجتمع كلما عمقت الفجوة بين أفرادها و كثرت الصراعات و التي تؤدي إلى الدمار في هوية المجتمع.

3.3- المرجعية الثقافية الواحدة و الموحدة: ويقصد بالمرجعية الثقافية تلك السمات الثقافية المشتركة المتراكمة عبر العصور و المخطات التاريخية و التي ينهل منها المجتمع أفراداً و مؤسسات و هيئات، و التي تعتبر الموجه لكل السلوكيات و القرارات و السياسات المجتمعية.

4.3- منظومة الحقوق و الواجبات المشتركة: هي تلك الرسالة من القوانين التي تنظم حياة أفراد المجتمع بحيث يشعر كل فرد بأن له حقوق مجتمعية و فردية تضمن له حياة كريمة يتساوى فيها مع باقي أفراد المجتمع، إضافة إلى الواجبات التي يجب على كل فرد من أفراد المجتمع القيام بها تجاه نفسه و أهله و المؤسسة التي ينتمي إليها و المجتمع بصفة عامة. هذه الحقوق و الواجبات إن لم تكن متوفرة فالفرد يشعر بالاغتراب في واقعه و من ثم تبدأ هويته في التلاشي.

هذه المكونات إن لم تكن موجودة أو غير متسائدة، سيحس الفرد بالعزلة و يبدأ في البحث عن هوية في مكان آخر، أو يصبح عرضة للاجتثاث و المسخ الاجتماعي.

4- مراحل تشكل الهوية.

لقد أشار علماء النفس إلى أن هوية الفرد تتشكل عبر مراحل متعاقبة، ففي كتاباته عن الهوية والتي أخذ أفكاره من كتابات إريك إريكسون أشار مارشيا Marcia إلى مستويات تشكل هوية الفرد و هي: - (Pennington. Gillen, 57) 2001. P.

1.4- حالة الهوية المشتتة: في هذه الحالة لم يختبر الفرد حتى الآن أزمة هوية، و لا أي تعهد أو التزام للمعتقدات أو المهنة أو الأدوار، و لا توجد أيضا دلائل على أنه يحاول بشكل نشيط إيجاد سمة للهوية لديه.

2.4- حالة الهوية المغلقة: في هذه الحالة لم يختبر الفرد أزمة، لكنه مع

ذلك ملتزم بقيم ومعتقدات مرتبطة بالأشخاص المهمين كالأسرة.

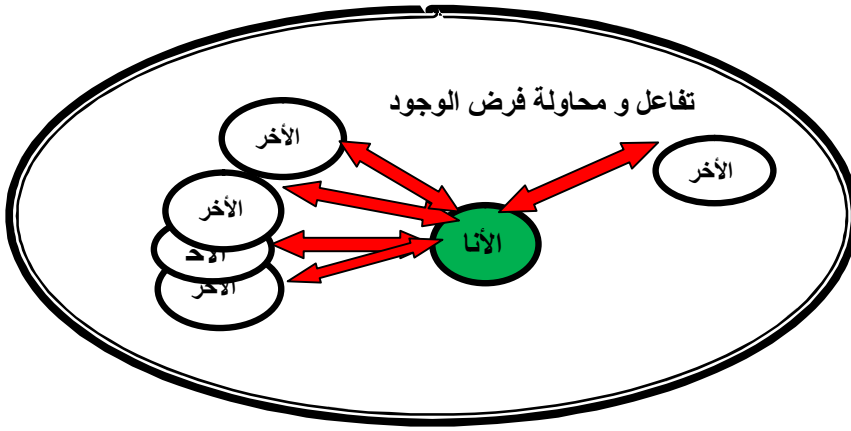
3.4- حالة الهوية المعلقة / المؤجلة : الفرد في هذا التصنيف يكون في حالة من الأزمة، و هو نشيط بشكل كبير في البحث حول البدائل في محاولة للوصول إلى خيارات الهوية.

4.4- حالة الهوية المنجزة: يكون الفرد قد نجح في التزاماته و يشعر بالإنجاز و يتعهد بإنجاز العمل و الأخلاقيات، و الأدوار الاجتماعية.

5- أنواع الهوية.

بالنظر إلى الكتابات المتداولة حول الهوية يبدو أنه يكاد يكون هناك شبه إجماع على أن هناك ثلاثة أنواع للهوية و هي: (الجابري.1998.ص 298)

1.5- الهوية الفردية. **Identité individuel** إن الفرد في محيطه الذي يتواجد فيه سواء أكان أسرته أو جماعته أو جمعياته أو الحزب أو النقابة التي ينتمي إليها، يمتلك هوية مستقلة تميزه عن الآخرين، سواء على المستوى الفيزيقي أو الفكري أو السلوكي، و يحاول جذب اهتمام الآخرين له. و يمكن القول أن الهوية ((عبارة عن "أنا"، لها "آخر" داخل الجماعة نفسها: "أنا" تضع نفسها في مركز الدائرة عندما تكون في مواجهة مع هذا النوع من "الآخر.)) (تعريف الهوية.2015)



شكل يبين مستويات التفاعل لفرض وجود الفرد داخل الجماعة و إيجاد هوية مستقلة (المصدر الباحث)

2.5- الهوية الجماعية. **Identité de groupe** الجماعات و الفئات و الطبقات

داخل المجتمع الواحد كالأفراد داخل الجماعة الواحدة، لكل منها أنماها الخاص بها يميزها عن بقية الفئات أو الطبقات أو الجماعات الأخرى، أي أن لكل منها ثقافتها الخاصة بها ضمن الثقافة المجتمعية العامة، و لها سلوكياتها الخاصة، حيث نجد أفرادها يحاولون التميز في كل شيء عن أفراد الطبقات الأخرى.

3.5- الهوية الوطنية. **Identité National** و هو الشيء نفسه يقال على الهوية

الوطنية أو هوية الأمة حيث أنه لكل أمة أو لكل مجتمع ثقافته الخاصة به التي يطبع بها أفرادها و من تم تتميز عن الأمم الأخرى، لكن السمات الثقافية التي يطبع بها الأفراد هي تلك السمات المشتركة أو ما يعرف بالعموميات على حد تعبير رالف لينتون.

ونشير في هذا السياق إلى أن العلاقة بين هذه المستويات ليست قارة ولا

ثابتة، بل هي في مد و جزر دائمان، يتغير مدى كل منهما اتساعا و ضيقا، حسب

الظروف و أنواع الصراع واللاصراع والتضامن واللاتضامن، التي تحركها المصالح: المصالح الفردية والمصالح الجموعية والمصالح الوطنية والقومية.

وبعبارة أخرى إن العلاقة بين هذه المستويات الثلاثة تتحدد أساسا بنوع "الآخر"، بموقعه و طموحاته فإن كان داخليا، و يقع في دائرة الجماعة، فالهوية الفردية هي التي تفرض نفسها كـ "أنا" و إن كان يقع في دائرة الأمة فالهوية الجماعية *Identité de groupe* (الطبقية، الفتوية الطائفية الحزبية... الخ) هي التي تحل محل "الأنا" الفردي. أما إن كان "الآخر" خارجيا، أي يقع خارج الوطن أو الأمة فإن الهوية الوطنية هي التي تملأ مجال "الأنا". (تعريف الهوية. 2015)

6- خصائص الهوية

تشير الكتابات المتداولة حول موضوع الهوية إلى أن هذه الأخيرة تتميز بمجموعة من الخصائص يمكن أن وجزها في ما يلي:

- أن الهوية موروثية، و هذا مرتبط بالصفات الفيزيكية و الجغرافية.
- أنها مكتسبة و هذا مرتبط بكل ما هو مجتمعي و مكتسب كالمستوى التعليمي، التخصص و غيره.
- الهوية موجودة في الضمير الجمعي للأمة و ملك لها. (مناصرة. 2012. ص 100)
- الهوية مؤدجلة أي مرتبطة بأيدولوجية معينة و باعتقادات معينة يتشربها الفرد ضمن الجماعة. (بومهرة. 2001. ص 2012)
- الهوية تقوم على مبدأ الوحدة و التنوع أي وحدة الأصول و المكونات الرئيسية، و تنوع الجزئيات و الفروع و كل هذا مرتبط بمستويات الهوية (الفرد و الجماعة و المجتمع).

- الهوية ثابتة ومتغيرة في الوقت ذاته، أي أنها ثابتة في الأصول ومتغيرة في الفروع. ومرتبطة بمراحل محددة من حياة الفرد والجماعة والمجتمع. فهناك معالم أساسية للفرد وللجماعة وللمجتمع تشكل معالم التميز وهي ثابتة في حين أن هناك معالم متغيرة يمكن أن تتغير بفعل الثقافة والانفتاح.

7- وظائف الهوية.

تؤدي الهوية في حياة الأفراد و المجتمعات وظائف عدة أهمها:

- 1.7- تضمن وإلى حد كبير الاستمرارية التاريخية للأمة، وتنمي شعور الأفراد بالانتماء لها (للأمة) خاصة في الظروف الصعبة والقاهرة. (غيدنز. 2005. ص 91)
- 2.7- تحقيق درجة عالية من التجانس و الانسجام بين أفراد المجتمع. (مناصرية. 2012. ص 105)
- 3.7- تشكل الهوية دور الجنسية الثقافية للأفراد و المجتمعات. (مناصرية. 2012. ص 105)

8- وسائل الإعلام والاتصال و العملية الاتصالية.

يعتبر الاتصال قديم قدم وجود الإنسان على الأرض، ويمكن القول أن الاتصال آلية أزلية بالنظر للخطاب الذي وجهه الله تعالى لأدم في الجنة في قوله ((و قلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين)) (القرآن الكريم، البقرة، 35). لكن هذه الآلية أخذت أساليب عدة بشكل متطور تصاعدي، حيث أن الأدبيات المتوفرة حول أساليب الاتصال تشير إلى أن أول أسلوب كان الكلام وتطور بعد ذلك بعد ظهور الكتابة والتكنولوجيا الحديثة، ليصل إلى الأقمار الصناعية وشبكات الانترنت وغيرها. وفي خضم هذا التطور كانت المعلومة وما زالت تشوه ويتلاعب بها لصالح جهات

بعينها، حيث تضييع حقيقتها في بعض الأحيان. (مكاوي و علم الدين. 2008. ص43)

وعندما نتكلم عن وسائل الإعلام والاتصال، فنحن نتكلم عن منظومة متكاملة من العناصر التي تتداخل وظائفها لإيصال الفكرة إلى الطرف الآخر فهذه العناصر هي:

1- المرسل **Emetteur** : و هي الجهة التي تصدر عنها الرسالة و التي يريد صاحبها أن يوصلها إلى المستقبل و قد يكون المرسل شخصا أو هيئة أو جمعية أو مؤسسة معلومة المصدر أو مخفية.

2- الرسالة **Message**: و يقصد بها المضمون أو المحتوى الذي يراد نقله من المصدر أو المرسل إلى المستقبل، و هي عبارة عن معلومات أو أفكار أو مهارات أو توجيهات مطلوب توصيلها إلى المستقبل ليعرفها ويعمل بها. و قد تكون الرسالة رموزا، كتابة، كلام، رسومات، صور أصوات...الخ.

3- الوسيلة. أو **القناة**: وهي الآلية (الوسيط) التي تنقل بواسطتها الرسالة (راديو، تلفزيون شخص أجهزة أخرى لفك الرموز، الشفرات، الصورة، الكلام، حركة، كتابة...الخ

ويمكن القول أن طبيعة الوسيلة هي جزء هام من الرسالة الإعلامية، و لكنها ليست كل الرسالة بمعنى إذا كانت للرسالة و خصائصها الذاتية أهمية كبيرة في التأثير على المستقبل، فإنه قد يكون لوسيلة إرسال الرسالة دور حاسم في ذلك، وقد يصل الأمر إلى حد يجعل لكل وسيلة رسالتها وذلك بالرغم من الانطلاق من الفكرة نفسها ومن المفهوم نفسه والهدف نفسه. (وسائل الاتصال و الإعلام ودورها في ترقية المجتمع. 2015)

4- المستقبل. **Récepteur**: وهو الشخص أو الجماعة أو المجتمع أو الجهة التي يوجه المرسل رسالته إليها أو إليهم، بقصد إبلاغهم بفكرة أو رأي أو إشراكهم في الخبرة أو تعديل سلوكهم.

5- رجع الصدى. **rétroaction** أو **feedback** و هو مدى استجابة المستقبل للرسالة الموجهة إليه أي هل تفاعل معها أم لا؟

9- الوظائف التي تؤديها وسائل الإعلام والاتصال

بالنظر إلى مكونات العملية الاتصالية و حاجة الناس و المجتمعات لهذه العملية على مر العصور يمكن أن نحدد مجموعة من الوظائف لهذه الوسائل وهي:-

1.9- الوظيفة الإخبارية الإعلامية. تلعب وسائل الإعلام والاتصال دورا مهما في عملية تزويد أفراد المجتمع بالمعلومات و الأخبار حول مختلف المواضيع والظروف و الظواهر، سواء أكانت سلبية أو إيجابية. وسواء ما تعلق منها بالاقتصاد أو الظواهر الطبيعية أو الأمنية. كما أن وسائل الإعلام ومن خلال ما تبثه من أخبار فإنها تضيء على جهة معينة سواء أكانت فردا أو جماعة مهابة وتبوؤه مكانة معينة في المجتمع و تمنحه هوية شخصية معينة على حساب الآخرين.

ولا شك أنه يوجد للأخبار فائدة محققة للطبقة الحاكمة، فهي تعطيها معلومات مفيدة لزيادة نفوذها و تقوية سيطرتها، كما أنها (أي الأخبار) تكشف عن الأشخاص المنحرفين، و التأثير على الرأي العام عن طريق المراقبة والسيطرة، وإضفاء الشرعية على السلطة. و لكنها في الوقت نفسه، يمكن أن تهدد الطبقة الحاكمة نفسها، عندما تظهر نواحي الضعف، وتظهر الأحوال الحقيقية التي قد يسهم الخصوم في نشرها. (وسائل الاتصال و الإعلام و دورها في ترقية المجتمع. 2015)

2.9 - الوظيفة التربوية التعليمية. فمن خلال وسائل الإعلام و الاتصال كوسائل تكنولوجيا حديثة يتم تقديم المعلومات الحديثة و المساهمة في عملية تعليم الأفراد، عن طريق الحصص المتخصصة والمتنوعة وباستعمال كل ما توصلت إليه التكنولوجيا من تطور، كشبكة الانترنت و الأقراص المضغوطة...الخ، إضافة إلى الحصص التلفزيونية المتخصصة.

3.9 - وظيفة تبسيط المعلومات. تعتبر هذه الوظيفة حديثة النشوء، وجاء ظهورها بعد أن تعقدت أمور المجتمع، وازدادت تخصصاته، وترامت أبعاده، وأصبح معظم ما يجري فيه غير مفهوم للإنسان العادي مما يتطلب من الإعلام تقديم شرحاً لمغزاه و تفسيراً لطبيعته، إذ يعتبر رجل الإعلام مسؤولاً عن جعل كافة الحقائق والمعلومات ذات القيمة الحضارية، في متناول فهم جميع الناس، حيث أنه كلما أزداد النمو الفني والصناعي والعلمي لمجتمع بشري معين، فإنه يصبح غاية في التعقيد والتجريد، بعيداً كل البعد عن التجربة الفردية المباشرة. (وسائل الاتصال والإعلام ودورها في ترقية المجتمع. 2015)

4.9 - الوظيفة الترفيهية. ويتمثل في الرقص، المسرح، الألعاب الرياضية. وهذا من خلال الرموز والأصوات والصورة بهدف الترفيه والإمتاع على الصعيد الشخصي و الجماعي. على الرغم من ما لهذه الوظيفة من أثر بالغ على هوية الفرد والمجتمع، من خلال الترويج للقيم الدخيلة عن الثقافة الأصلية للمجتمع.

5.9 - وظيفة خلق الدوافع. و يعني هذا دعم الأهداف المباشرة و النهائية لكل مجتمع وتشجيع الاختيارات الشخصية و التطلعات ودعم الأنشطة الخاصة بالأفراد و الجماعات و التي تسعى نحو تحقيق الأهداف المتفق عليها.

6.9 - وظيفة النهوض الثقافي و التثقيف. يسعى القائمون على المجتمعات بصفة عامة، و من خلال مختلف المؤسسات و من بينها المؤسسة الإعلامية و وسائل الاتصال، إلى المحافظة على ثقافة المجتمع، من خلال نشر السمات الثقافية و الأفكار التي تعمل على تماسك المجتمع والتي تصنع بدورها هوية المجتمع الخاصة. كما يسعى المعنيون بالعمل على تطوير ثقافة المجتمع لتساير التغيرات والتحولات المجتمعية والعالمية على جميع الأصعدة.

7.9 - وظيفة التنشئة الاجتماعية. فمن خلال هذه الوظيفة يتم نشر مجموعة المعارف و الأفكار والسمات الثقافية التي من خلالها ينتج أفراد بمواصفات معينة، تميزهم عن أفراد المجتمعات الأخرى في الكثير من الجوانب، كما أن لهذه الوسائل دور مهم في صناعة الهوية الشخصية للفرد، و هذا من خلال ما يأخذه من أفكار وقيم. لكن هذه العملية إن لم تكن مراقبة رقابة شديدة فاحتمال تعرض الفرد للاغتراب و التيه يكون كبير جدا، لأن الانفتاح غير العقلاني و في خضم ما تبته الكثير من القنوات والأجهزة، يصبح الفرد المستهلك عرضة لعدد من المخاطر.

8.9 - وظيفة الترميم و المغالطة.

إلى جانب الوظائف الإيجابية لوسائل الإعلام و الاتصال خاصة الحديثة منها، فإنها تقوم بوظائف سلبية في حياة الأفراد والمجتمعات، فعن طريقها يتم صناعة رأي عام حسب رغبات جهات معينة مهيمنة على الساحة المجتمعية بكل أبعادها، فيتم الترويج لأفكار و آراء تخدم النخب الحاكمة وتوجهاتها، حيث تبرز سلوكيات وقرارات هذه الفئة. ففي هذا السياق يذهب المفكر الفرنسي بيير بورديو إلى أن القائمون على التلفزيون يتلاعبون بعرض المعلومات والأخبار، بحيث تفقد مغزاها "فعندما يعرض التلفزيون أشياء يتم إخفاؤها عن طريق عرضها، بواسطة عرض

شيء آخر غير ذلك الذي يجب عرضه، إذا ما تم عمل المفروض عمله أي إعلام المشاهد، أو كذلك عندما يظهر التلفزيون ذلك الذي يجب عرضه لكن بطريقة لا تسمح بعرضه، أو بأن يصبح غير ذي مغزى، أو عندما يقوم بإعادة تشكيله بحيث يأخذ معنى لا يقابل الحقيقة على الإطلاق". (بورديو. 2007 ص 49)

وكذلك تمارس هذه الوظيفة بالوسائل الأخرى خاصة شبكات التواصل الاجتماعي التي تنشر أفكارا خاطئة لمغالطة الرأي العام و ترسيخها مجتمعيًا.

10- وسائل الإعلام و الاتصال و صناعة هوية الأفراد و المجتمعات.

تأسس على ما سبق ذكره، و بالنظر إلى الوظائف التي تقوم بها وسائل الإعلام و الاتصال خاصة الحديثة منها، وفي وقتنا الراهن فيمكن القول أنها (وسائل الإعلام و الاتصال) آلات يتم من خلالها إنتاج المجتمعات و صناعة هوياتها، فالعالم اليوم يعتمد اعتمادا كبيرا على هذه الوسائل في ممارسة غزوه للمجتمعات الأخرى، و خاصة عبر شبكات التواصل الاجتماعي والتلفزيون. هذا الأخير يعتمد كثيرا على تقنيات الصورة و التركيب والألوان. فالصورة في البث التلفزيوني أو في شبكات التواصل الاجتماعي تؤدي وظيفتين رئيسيتين هما: - (فهيم. 2006. ص ص 40-41)

- 1- وظيفة طبيعية. و هي تحدث تلقائيا بمجرد العرض التلفزيوني: بمعنى أن برامج التلفزيون تعرض عن طريق الصور وبدونها لا يمكن أن يكون هناك عرض تلفزيوني.
- 2- وظيفة فنية: تصنع و توظف لخدمة المضمون، حيث إن وجود الصورة في التلفزيون يجعل البرامج أكثر فعالية من برامج الراديو كما أنها العنصر الجوهري والأساسي الذين يمكنه تحويل بعض الأفكار والمعلومات إلى صيغ صورية تسهم في

نقل مضمون البرنامج بالأسلوب التلفزيوني حتى بدا من الطبيعي أن يتكون لدى الناس ما يمكن أن يطلق عليه العقلية البصرية.

وتلعب الصورة دورا مهما في ترسيخ القيم والسمات الثقافية لدى الأطفال، ويتم التأثير عليهم بطريقة كبيرة جدا، حيث أن هناك مجموعة من العوامل التي تزيد من أهمية الصورة المصاحبة لبرامج التلفزيون في إمداد الطفل بالمعلومات، من أهمها:

1- تجذب الصورة انتباه الطفل وتستحوذ عليه، بحيث تجعله لا يملك إلا التركيز عليها.

2- تبرز الصورة المعلومات المصاحبة لها و تدعمها.

3- تقرب الصورة الأماكن البعيدة، و تكبر الأشياء الصغيرة، و تصغر الأشياء الكبيرة و تظهر الأشياء المختلفة.

4- يميل الناس عامة، و الأطفال خاصة إلى تصديق المرئيات أكثر من السمعيات.

5- تزيد الصورة من استيعاب المعلومات و تذكرها حيث تتأثر الذاكرة بالصورة أكثر من الصوت. (فهيم. 2006. ص ص 40-41)

فالدراسات التي أجريت حول تأثير التلفزيون على الأطفال وتشكيل قيمهم والتأثير عليها، تبين أن هذا الجهاز يؤدي وظيفة التشكيل في القيم والمبادئ والثقافة المجتمعية السائدة، واستبدالها بقيم و مبادئ وثقافة أخرى. وهذا من خلال الأفلام والمسلسلات والخصص والرسومات، وهذا ما يدفعه إلى التقليد والمحاكاة ومن ثم التأثير في هويته الشخصية. (فهيم. 2006. ص 97)

11- الخصوصية الثقافية في عصر تكنولوجيا الإعلام و الاتصال

عندما نتكلم عن الخصوصية الثقافية لأي مجتمع في عصر الانفجار التكنولوجي وثورة الإعلام والاتصال، نجد أنفسنا ملزمين على الإجابة على مجموعة من التساؤلات، هل نمتلك ثقافة يمكنها التعايش مع هذا الواقع المتغير بوثيرة متسارعة؟ هل نمتلك آليات الصمود؟ إلى أي مدى نستطيع أن نحافظ على هويتنا الثقافية أو خصوصيتنا الثقافية؟.

بالنسبة للإجابة على التساؤل الأول، و بالرجوع إلى تعريف الثقافة والتي تعني على حد تعبير الأنثروبولوجيين أنها ذلك الكل المركب الذي يحوي العادات والتقاليد والقيم و الأفكار و السلوكيات و غيرها من السمات التي تشكلت عبر حقبة زمنية متعاقبة، والتي ستتشكل لاحقا إلى أن ينتهي المجتمع المنتج والحامل لهذه الثقافة كلية نقول أننا نمتلك ثقافة و خصوصية ثقافية تشكل هويتنا المتميزة على غرار هوية المجتمعات الأخرى. لكن لسنا ممارسين لهذه الثقافة فعليا، بل أصبحت كلمات تقال و أراء تطرح دون ممارستها، و من ثم لم تعد جزءا من كياننا وهوية تميزنا عن الآخر، هذه الحالة هي نتاج عوامل كثيرة، منها ما هو تاريخي ومنها ما هو تكنولوجي(أي نتاج الثورة التكنولوجية). عليه أصبحت ثقافتنا موضع شك وتشكيك بعدم مسايرة الواقع الحالي من طرف الآخر، وأصبحت تتلقى الضربات من كل طرف و نحن نتفرج. و هنا نقول أن العيب ليس في الثقافة بل في حاملها. أما السؤال الثاني فالإجابة عليه نستمدّها من مصادر ثقافتنا، فالثقافة العربية الإسلامية، و التي تشكل هويتنا الخاصة، منهلها الأساسي هو الدين الإسلامي الذي هو دين سماوي تأذن الله سبحانه و تعالى بالحفاظ عليه. وعليه فثقافتنا تمتلك المؤهلات الكافية للصمود و التعايش مع كل المتغيرات. لكن الخلل في حاملها هذه

الثقافة، والذين أصبحوا انهماجين مستهلكين للقيم الثقافية، ومن تم أصبحوا بلا هوية.

لكن وفي ما يتعلق بإمكانية المحافظة على ثقافتنا ومن تم المحافظة على هويتنا، فهذا مرتبط إلى حد كبير، باستعداد الأفراد للتضحية من أجل هذه الثقافة أو الهوية، وهذا مرتبط بمدى وعيهم وإيمانهم بقيمتهم ومبادئهم، إضافة إلى قدرة النخب السياسية والاجتماعية والثقافية على فك ارتباطهم الثقافي والمعنوي بالآخر (الغرب سواء أكان مستعمرا أو منتجا للثقافة) واعتزازهم بهويتهم والدفاع عليها. وهذا صعب نوعا ما بالنسبة للبعض، كون مصالحهم وثيقة الصلة بالآخر.

إن الثورة الراهنة في تكنولوجيا الإعلام والاتصال جعلت عملية الثقاف أمرا واقعا ومفروضا على كل الأفراد والمجتمعات، وهذا من خلال تقنيات الهوائيات المقرة والأجهزة الرقمية وشبكات التواصل الاجتماعي، وغيرها، فالقائمون على المجتمع ليس بوسعهم إيقاف هذه العملية بشكل نهائي لكنهم بإمكانهم التقليل منها، والحد من تأثيرها، عن طريق إيجاد هوية وطنية مستمدة من الثقافة الأصلية للمجتمع. حيث ساهمت هذه الثورة في توفير قنوات الاتصال والحوار، وتأكيد أهمية معرفة خصوصيات الثقافات الأخرى وأصبح التنوع الثقافي والحضاري لا يتعارض مع ما يطلق عليه العولمة، في ظل مجتمع المعلومات وفي زمن ثورة تكنولوجيايات الاتصال، فضلا عن ذلك فإنها أحدثت تأثيرا كبيرا في صياغة الواقع وهويات المجتمعات ومفاهيم التفاعل والاتصال التقليدية، وفتحت الآفاق واسعة للأفكار والاتجاهات والولاءات والانتماءات. وانعكس ذلك على التكوين الاجتماعي والثقافي للأفراد والمجتمعات، حتى كدنا نتحدث عن الهوية الواحدة عوض الهويات المختلفة. (البيضاني وحسين علي. 2012. ص ص 2-3) أي أن

النظم الاجتماعية القائمة أصبحت عاجزة أمام منظومة ثقافية عالمية مدروسة بدقة موجهة للآخر، بما تمتلكه من إغراءات ووسائل تأثير يصعب مقاومتها. (الطويرقي. 2001)

ومسيرة للآثار التي تتركها الثورة الحاصلة في تكنولوجيا الإعلام والاتصال على الهوية الفردية والاجتماعية، فلا يمكننا الحديث عن مجتمع دون ثقافة خاصة أو على حد تعبير أنتوني جيدنز مجتمع بدون تقاليد أو عصر نهاية التقاليد. ولا نعني بنهاية التقاليد أن التقاليد سوف تختفي من الوجود كما كان يريد مفكرو التنوير. على العكس من ذلك فإنها سوف تستمر في الازدهار في صور مختلفة في كل مكان. و لكن التقاليد سوف تعاش على الدوام بأسلوب أقل تقليدية، أي الدفاع عن الأنشطة التقليدية بطقوسها ورمزيتها، أي الدفاع عن التقاليد من خلال التأكيد على ادعائها الداخلي بامتلاك الحقيقة. (جيدنز. 2005. ص 54)

خلاصة

بالنظر إلى كون الهوية هي المكون المهم والخطير في حياة الفرد والمجتمع فقد نالت وحازت كل اهتمامات الساسة و الاجتماعيين، فسخرت كل الإمكانيات لتكوينها والحفاظ عليها، لأن ضياع الهوية هو ضياع للفرد والمجتمع، وزاد الاهتمام بها مع تطور تكنولوجيا الإعلام و الاتصال و غزوها للبيوت والعقول وجعلت العالم قرية صغيرة تمتاز فيها الثقافات والحضارات، ومن ثم لا يمكن حماية هوية الفرد و المجتمع إلا بحماية ثقافته و الهر على نشرها.

المصادر و المراجع

أولاً. المصادر.

- القرآن الكريم.

ثانياً . المراجع.

الكتب.

- 1- أبو جادو، محمد صالح (1998) سيكولوجية التنشئة الاجتماعية"، دار المسيرة للنشر، عمان ط1.
- 2- هنتغتون، صاموئيل (2005). من نحن -التحديات التي تواجه الهوية الأمريكية، ترجمة: حسام الدين حضور دار الحصاد دمشق، ط 1 .
- 3- ميكشيللي، إليكس (1993). الهوية. ترجمة: علي أسعد وطفة. دار الوسيم للخدمات الطباعة. دمشق، سوريا، ط1.
- 4- الجابري، محمد عابد (1998). العولمة و الهوية الثقافية: عشر أطروحات من كتاب العرب والعولمة. مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان.
- 5- بومهرة، نورالدين(2001). الجزائر و العولمة، منشورات جامعة قسنطينة..
- 6- غيدنز، أنتوني (2005). علم الاجتماع . ترجمة: فايز الصباغ، المنظمة العربية للترجمة. بيروت لبنان.
- 7- _____ (2005). عالم منفلت. كيف تعيد العولمة صياغة حياتنا. ترجمة/ محمد محي الدين. دار ميريت للنشر و المعلومات، القاهرة، ط 2 .
- 8- مكاي، حسن عماد و علم الدين، محمود (2008). تكنولوجيا المعلومات و الاتصال، الدار العربية للنشر و التوزيع، مصر ، ط 1،.
- 9- بورديو، بيار (2007). التلفزيون و آليات التلاعب بالعقول. ترجمة: درويش الحلوجي. دار ميريت القاهرة. ط 1 .
- 10- كلير، فهم(2006). تأثير إدمان التلفزيون في الأطفال. سلسلة إقرأ، دار المعارف، القاهرة ط1.
- 11- البيضاني، إبراهيم سعيد و حسين علي، ناهدة (2012). القيم المجتمعية في ظل عصر العولمة و إدارة المعرفة. مداخلة أقيمت في المؤتمر الدولي حول عولمة الإدارة في عصر المعرفة. جامعة الجنان. طرابلس لبنان، من 15 - 17 ديسمبر .

الجرائد و المجلات.

- 1- الطويرقي، عبد الله (2001). مستقبل بلا سلطات... بلا تخوم. جريدة الشرق الأوسط، 21 أوت.
- 2- زغو، محمد (2010). أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد و الشعوب. مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية و الإنسانية. العدد 04.
- 3- حمد، فريال (2001). مستويات تشكل الهوية الاجتماعية و علاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول الثانوي من الجنسين. مجلة جامعة دمشق، المجلد 27.

الأطروحات.

- 1- مناصرية، ميمونة (.2012/2011) هوية المجتمع المحلي في مواجهة العولمة. أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع غير منشورة، قسم العلوم الاجتماعية، جامعة بسكرة.
- مواقع الأنترنت.

1- تعريف الهوية. <https://elebda3.com/articles/read-408>

2- ما هو تعريف الهوية. <http://www.ejaaba.com/topic/14703>

3- وسائل الاتصال والإعلام ودورها في ترقية المجتمع.

<http://www.startimes.com/f.aspx?t=33057925>